ما حصل في المدينة المقدسة، فأبكوا العيون وأوجعوا القلوب من قتل للرجال وسبي للحريم والأولاد ولشدة ما أصاب الناس أفطروا في رمضان)[٥٦].

والدكتورة الحوت كتبت أن الصليبيين قتلوا كل من صادفوه من رجال ونساء وأطفال، وأنهم في اليوم التالي اقتحموا المسجد الأقصى وأجهزوا على جميع الذين لجؤوا إليه. ويجمع المؤرخون من شرقيين وغربيين على أن المذبحة الوحشية قد شملت جميع المسلمين واليهود.

وبالتالي كان عام احتلال القدس ١٠٩٩م شديد السواد. استسلمت قيسارية دون قتال. وصمدت عكا أكثر من سواها، أما أهالي الرملة ففروا... وأعلن عن مملكة أورشليم اللاتينية التي ضمت أجزاء واسعة من فلسطين وسوريا ولبنان. وبعد عام من احتلال عسقلان ثار الأهالي وراحوا يخوضون الحرب بين كرٍ وفر في ظروف اختلت فيها موازين القوى وقد اشتدت عليهم الضرائب والجزية.

وحسب الأكاديمية الحوت (كانت العلاقات بالسكان تختلف وفقا لعوامل عديدة. فقد أقام الصليبيون علاقات ودية مع الموارنة، وكانت بعض المدن المسلمة تطلب المساعدة من المملكة اللاتينية ضد مسلمين آخرين... وقام الصليبيون بعدد من عمليات الإبادة الشاملة والمذابح... وبعد حصار أشهر لأنطاكيا قتلوا وأسروا من الرجال والنساء ما لا يمكن حصره)[٥٧]. وأنطاكيا كانت أكبر مدن الشام وأهمها في ذلك العصر. وفي الوقت الذي يشير فيه الدكتور شوفاني إلى أن النجاح العسكري/ السياسي للحملة الأوروبية لم يسفر عن أي نجاح ثقافي، ذلك ان الأهالي العرب لم يغيروا من معتقداتهم، وإن كانت الظروف قد اضطرتهم للتبادل التجاري ودفع الضرائب، فإن الدكتورة الحوت تفسر المسألة على النحو التالي (لم يتم تبادل حضاري يذكر بين الفريقين طيلة المئتي عام، ذلك أن الحضارة الإسلامية كانت في انحدار. ولولا ذلك لما نجحت الحملات الصليبية أصلاً. وكان الافرنج، هم أنفسهم، أقل حضارة من المسلمين في حالتهم تلك. لكن العداء «القومي» والتعصب الديني حالا دون اقدام الافرنج على الاقتباس كما يجب)[٥٨].

في عهد الملك بولدوين الثالث أخذت المملكة اللاتينية بالاهتزاز مع ظهور شرارة الجهاد التي أعلنها عماد الدين زنكي (حاكم الموصل من أصل تركي) الذي صمم على توحيد سوريا وتطهيرها

---

٥٦) د. فوزي، مرجع سابق. ص١٦٤

٥٧) د. الحوت، مرجع سابق. ص ١١٤

٥٨) د. الحوت، مرجع سابق. ص ١١٥